

خط الدفاع الثاني ؟

تنتاب الأفراد والأسرات والأمم نواب وتعل بها نحن ، والمقاومة عنصر من عناصر الطبيعة البشرية ، فهي حينئذ تقاوم وتقاوم حتى تضعف مقاومتها ؛ فإذا لم تكن أعدت لها خطا ثانيا من خطوط الدفاع ، فإنها عندئذ تتعرض للانهايار التام ، وللنكسك والانحلال .

وخط الدفاع الثاني في النفس الإنسانية الصحيحة هو روح الدعاية والمرح . من هذا الخط تنشأ قوة جديدة ، ومنها ينبعث الرجاء والتفاؤل ، إذ أن الدعاية تفسح للنفس مجالاً تستعيد فيه قوتها بعيداً عن ضغط الحوادث . وقد تجرد في هذه الفسحة حلاً جديداً أو خطة جديدة للمقاومة المجدية . كذلك تصنع الجيوش حين تعدلها خطا ثانياً من خطوط الدفاع ترتد إليه ، وتكسب بعض الوقت عنده ، حتى تلم شتاتها وتستجمع قوتها للهجوم أو للصمود .

وكل جماعة وكل أمة في حاجة إلى هذا الخط الثاني تخزن فيه رصيدها من الرجاء والأمل ، وعدتها من المقاومة والتماسك ؛ ولا سيما في هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بالبشر .

والعنصر الأنجلوسكسوني يمتاز بهذا الرصيد ، فهو يتمالك أعصابه في أحرح الظروف ، ولا يفقد دعابته وتفأله في أشد الملمات . وفي اللحظة الأخيرة يجد هذا الرصيد فينفق منه ويروح عن أعصابه حتى يجد فرصة جديدة .

قرأت أن أحد المصارف في إنجلترا وقع في أزمة تهدد كيانه ، وقد اجتمعت لجنة فيها مندوب من الخزانة الإنجليزية للبحث في موقف هذا المصرف . وفي أثناء بحثها كان مديره يعرض الحل بعد الحل فيرفضه مندوب الخزانة ، والمدير في حالة عصية شديدة حتى تكورب جو الجلسة . وبينما هذه الأزمة مستحكمة كان أحد المجتمعين مكبا على ورقة والقلم بيده منهمكا في تخطيطات وكتابات ، ثم رفع رأسه فوجه إليه الجميع ينتظرون عنده حلاً ، فإذا الورقة تحوى صورة « كارليكانورية » للمدير !

وكان هذا حلاً حقيقياً فقد انفرجت الشقاء وابتسم الجميع ، وضحك المدير، واستراحت

وللمصريين - على طريقتهم - هذا الخط اثنائي من خطوط الدفاع في النكتة المصرية .
لقد كان منشأ هذه النكتة ، فيما أعتقد أن المصريين وهم شعب متمدن عريق ابتلوا بمستعمرين
أقل منهم مدنية وعراقية في جميع العصور ، ووجد الشعب المصرى نفسه - مع ذلك - عاجزا عن
المقاومة بالقوة لظروف خارجية عن ارادته ، فلجأ الى خط الدفاع الثانى ودو النكتة يرسلها على
في هؤلاء المتجبرين فتحقر مقامهم وتبرز عيوبهم ، وتشفى غل هذا الشعب المحبوس .

ولكن الخطر أخذ ينبع من خط الدفاع ! ذلك أن طول الكبت وطول الاستعمار
وطول التشفى بالنكتة ، وبالنكتة وحدها ، جعل هذه الدعاية تتحول شيئا فشيئا ، ومع اليأس
من جدوى المقاومة ، إلى استهتار وعدم اهتمام .

والاستهتار شر ما يصاب به الأفراد والأمم على السواء ، لأن معناه أن ينفصوا
أيديهم من الوسائل الجدية ، وأن تغدو الحياة في نظرهم هزلا في هزل وعبثا في عبث ،
وأن يستسلموا لكل ما تأتى به الظروف بلا مقاومة ولا كفاح .

وإذا كانت روح الدعاية مطلوبة لأنها تهيئ للنفس الانسانية بعض الوقت يسترد فيه
قوتها وتجد لها شيئا من وسائل المقاومة الجديدة ، فان روح الاستهتار شر محض ، إذ هي
تصد النفس عن التفكير في وسائل المقاومة ، بل عن فكرة المقاومة من أساسها .

فنحن إذن في حاجة إلى روح الدعاية الحقيقية ، وليس ما نراه من عدم اهتمام المصريين
بالأزمات هو هذه الروح ، وإنما هي روح الاستهتار التى تدعهم ساكنين لاهين ، والأزمات
تطرق الأبواب .

يجب أن نهم ، وأن نوسع دائرة اهتمامنا حتى تشمل ما هو أبعد من أشخاصنا وحياتنا
اليومية ، ولكن يبنى ألا نجزع وألا نفقد تماسكنا وهدوءنا ومرحنا كذلك .

إن العالم كله في هذه الأيام يتعرض لامتحانات شديدة ، وهناك كابوس عام يضغط
على أعصاب الناس ، وفي مثل هذه الحالات يتعرض الأفراد - ولا سيما العصبيون منهم -
لأمراض نفسية عتيقة . وكل فرد الآن - مهما كان تمالكه لأعصابه - يتأثر بالحالة العامة ،
حالة القلق وعدم الاستقرار والذعر وانتظار السوء في كل لحظة من اللحظات .

وخير ما يصنعه الأفراد لتخفيف ضغط هذا الكابوس هو ، كما قلت ، التحصن في خط
الدفاع الثانى ، وما يساعد على الارتداد بنظام إلى هذا الخط ألا يستخدم الإنسان خياله
في تصور المآسى المقبلة ، ومن الحسنة في هذه الأيام أن يكون المرء قصير النظر إلى حد ما ! ،
فحينئذ في آفة الحياة القسوة منه دون أن يمس حساساته كما هو الحال في

الحوادث المقبلة ، خيفة أن يجسم له خياله هذه الحوادث ويلونها بلون أسود يفقده القدرة على النظر الصحيح للأمر .

وإذا كان قصر النظر فضيلة في هذه الأيام بالنسبة للأفراد ، فليس هو كذلك طبعاً بالنسبة للشعوب والحكومات ، فكل دقيقة تمر ذات تأثير حاسم في مجرى التاريخ ، ومن الواجب أن تمد الشعوب وحكوماتها بأبصارها إلى ما وراء الأسوار ، وأن تحسب حساباً لكل فرصة ، واستعداداً لكل احتمال .

أما الأفراد فن رحمة الله بهم ألا يستخدهوا خيالهم وألا يجسموا حوادث المستقبل .

وخير ما يتعزى به الانسان ويستمد منه الرجاء أن يعلم أن الانسانية أشد وأقوى من أن تززعها هذه العواصف . ولقد تعرضت ألف مرة للامبار ثم تماسكت ونهضت وسارت بخطوات ثابتة إلى الأمام .

من القرآن الكريم :

”وَلَنَسْأَلَنَّكُمْ فِي شَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتُم مِّصْيَبًا قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ“



”قُلْ لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ“ .